

٢٥ هزبراه:

فكر في مخلوق حي ، يسير وينظر ويضحك ...
مخلوق؟!
ما هو المخلوق؟



مجنون ... !

للقصص الفرنسي صي دي موباسار

بقلم الأديب م. كمال جلبي

—>>><<<—

٢٦ هزبراه:

هو كائن يحيا بحركة نظامية ، وبفكر ثاقب يدير تلك الحركة
الكامنة فيه ، ولا يشغل هذا الكائن فراغاً لأن رجليه اللتين
يسير بهما لا تعتمدان وجه الأرض . إذن فهو حبة حياة متحركة
لا أدري مم تكونت ! تبدو بسيطة كأحقر الأشياء وأتفهها كأن
لا قيمة لها مطلقاً .

مات الرجل الفذ الذي اهتمت له مجالس القضاء الفرنسية
قاطبة ، وانحنت لموته رهوس الحقوقيين وأعضاء مجالس الشورى
أنحاء احترام وخضوع لوجهه الهزيل الذي كانت تضيئه
نظراته الحادة .

كان عدو اللصوص والقتلة لأنه الوحيد الذي يقرأ أفكارهم
الرهيبة ويكتشف أسرار الجرائم التي ارتكبوها ، فبنظرة واحدة
إلى أحدهم يعرف أسرار المدفونة .

مات الرجل في الثانية والثمانين من العمر ، فشيمت نمشه
حشرات شمب كامل ؛ وسار وراءه جنود الحكومة لابسين
البناطيل الحمر ؛ يتقدمهم أعظم رجالات فرنسا ويندبه أصحاب
الربطات البيضاء بدموع صادقة .

وقد وجدوا بعد موته في غرفته الخاصة التي تحوى أوراق
كبار المجرمين مذكرات بعنوان « لا ذا »

٢٠ هزبراه سنة ١٨٥١ :

انتهت جلسة اليوم بعد حكمي على بلوندل بالإعدام .
لم قتل هذا الرجل أولاده الخمسة ؟ ولم تظهر علام اللذة على
هؤلاء إذا قضوا على غيرهم ؟

نعم ! نعم ! يجب أن يكون القتل لذة ، ولعلها تكون أعظم
الذات جيمها ! أليس للموت شبه عظيم بالحياة ؟

الحياة والموت !!

كنتان تتألف منهما قصة المجتمع ، نعم المجتمع كله ؛ أي كل
ما هو كامل ؟ إذاً لما يولع الإنسان بالقتل ؟

لم يعد القتل جريمة ؟ نعم لماذا ؟
فقانون الطبيعة لا يعاقب القاتل ، والقتل كما أرى فريضة على
كل كائن : فانه يقتل طلباً لعيش رغيد ؛ يقتل لأنه عرف لذة
القتل ؛ فالحيوان يقتل في كل لحظة من وجوده — والرجل لا ينقطع
عن القتل ، بل يقتل ليتنفذ ، ويرى في القتل ضرورة ، لذلك
رأى في السيد لذة — وقد لا يشعر الطفل بالنشوة إلا إذا خنق
صغار الحشرات وصغار المصافير التي تصل إليها يده ؛ وكل هذا
لا يطفى شهوة القتل الملتهبة فيه .

لم يكفه الحيوان فمدا على زفيقه الإنسان . وقدما كانت القرابين
البشرية تقدم للآلهة ، فاستعيض عنها حديثاً بالجرائم التي جمعت
القتل جريمة يكافئها القانون بالإعدام أو بالسجن !

والحقيقة أننا لا بد أن نؤدى واجبنا نحو هذه الفرزة
الطبيعية التي ينتج عنها الموت الوشيك . وكثيراً ما تخف غلواؤنا
عند ما نرى أم الأرض تتطاحن ، ونسمع بشعوب تذيب أخرى ،
وتكون هنالك مجازر دموية تهيم بها الجيوش ؛ فترى أهالي المدن
الثمين بخمرة النصر مع نساءهم وأولادهم يطالعون بانتباه على ضوء
المصباح أخبار مجازرهم القضيعة .

هل فكر أحد بأن شعوب الأرض تكره تلك المذابح
التي نسميها الحروب . أبداً ! إذاً فلم تنه عليهم بشتى أنواع الثناء ،
ونلبسهم الجوارح الثمين بحلي بالذهب الزاهج ، وقلدتهم أوسمة يحلون

نأمل في أشخاص العالم المجهولين !
المجهولين ؟

وصلنا أساس البحث ! ؟

قلنا إن القتل جريمة لأن القانون أحصى عدد المخلوقات
وسجلها وأطلق عليها أسماء عديدة ، ثم قدّمها رجال الدين
فإذا هي في حي القانون يدفع عنها عدوان القتل السفاكين ؛
والمولود الذي لا يسجل لا يعترف القانون بوجوده

الطبيعة تحب الموت ، ولا تعاقب القتل ؛ وهي نفسها تدافع
عن الإنسان الذي جعله القانون سلعة في يده يفعل به ما يشاء ،
لأنه خول نفسه الحق فيه ، فتراه يمد مئات الألوف للحرب
منتظراً أن يسقط أسماءهم من سجلاته . ولكننا نحن الضعفاء ،
لا يمكننا تبديل أي اسم حتى ولو من سكان الأقضية ، بل الواجب
علينا أيضاً احترام حياة الكائن ، مع احترام سلطة الحكومة
المدينة التي تملك الحياة كل البلدة .

قف وادع الله يا ابن الطبيعة !

٣ نموذج :

في القتل غرابة ولذة مقرونتان بالسرور ؛ فإذا كان المخلوق
الحى العامل تحت سلطتك وتمكنت من عمل جرح صغير
واحد في جسده ووقفت ترى المادة اللزجة الحمراء تسيل أمام عينيك
ثم يفقد ذلك الجسم الحياة ، فلا ترى بعدئذ سوى كتلة لحم لين ،
بارد عديم الحركة التفكير .

١٥ آب :

لقد قضيت حياتي بالمحاكم ، أعدم ، وأميت ، بكلام رقيق
يخرج من فمى ، وتنفضه القصة في الذين أمتوا بجد السكين ، أنا !
أنا ! ما ذا يكون مصيرى إذا أصبحت كأحد هؤلاء القتلة ! ؟
من يدري ؟

١٥ آب :

من يدري ؟ لا أحد !
أفكر امرؤ بأنى قاتل ولا صيا إذا انتقيت كائناً لا فائدة
تعود على من حذفه ؟

بها صدورهم ، ثم نفدق عليهم ألقاباً عظيمة فستصبح « مودة »
النساء لهم مسخرة مع إرادة الشعوب عامة ، أليس ذلك لأنهم
مسخرون لقتل الإنسان ؟ إذن فالقتل نظام أودعته الطبيعة صدر
الإنسان ليصيب السعادة الدائمة والشرف الرفيع !

القتل هو القانون ، والطبيعة تحب الشباب الخالد ، فنحت
أبناء الحياة على ترك الحياة ، وكلما أهلكت رهطاً أحييت
آخر مثله .

٢ نموذج :

الكائن ؟ ! ما هو الكائن ؟

هو كل شيء ، وهو لا شيء ؛ فهو انعكاس الكون . ونصغير
العالم ، هو تاريخ ، وشكله مرآة لأعماله ، فكل مخلوق محيط
في هذا العالم !

إرحل وابحث عن الأجيال تر الكائن لا شيء . اصعد
في زورق وابعد عن الشاطئ المزدحم بالمخلوقات فلا ترى شيئاً
بعد برهة ، ومن هنا نستدل على حقارة الإنسان . اقطع أوروبا
بالتقطار السريع وتطلع من بابه الصغير تر رجالاً لا يحصون
مجهولين ، يحرثون الحقول ... ويتراكمون في الدوارع ،
وفلاحين بلهاء لا يعرفون سوى فلاح الأرض مع نسايتهم
السمجات اللاتي لا ينفقن سوى طبخ الحساء لرجالهن وأولادهن .
اذهب إلى الهند ، إلى الصين ، نجد الحال هي الحال : أناس
يولدون ويشقون ثم يموتون دون أن يتركوا أثر غلة .

زر بلاد الزنوج الآوين إلى بيوت من الطوب ؛ زر بلاد
العرب البيض القابعين تحت خيامهم القاعة المتعوجة مع الرياح تر
حقيقة المخلوق المنزل الذي نعتناه بلا شيء .

والعقلاء من البدو والحضر ينظرون إلى الموت نظرم إلى
الأمير الذي لا بد منه ، فلا يكثرثون له . والجريمة كذلك في نظر
البدو الذين نشأوا وتأسلت في نفوسهم منذ نشأتهم فكرة الأخذ
بالتأثر كأنها شيء طبيعي . أما أهل الحضرة فلا يتأثرون بهذه
الجرائم وإن كانت أفكارهم لا تتعدى حدود اعتبارها أمراً طبيعياً
لازماً لإطفاء شهوة القتل ، والقتل تنتقل عدواه من بيت لآخر
ومن مقاطعة لأخرى .

قفصه . أيمكنه أتهامى ! لا ... لا ... !!

١٧ آب :

٢٥ آب :

الأمر بسيط : ذهبت للأنزهة مرة في غابة « قبرن » لا أفكر في شيء مطلقاً ، وإذا ولد صغير يأكل خبزاً عليه قليل من الزبدة على قارعة الطريق . وقف ليراني ماراً بجانبه ، وعندما اقتربت منه حياني قائلاً :

— نهارك سعيد ، يا سيدى الرئيس .

وهناك ... طرأت على فكرة « قتله » فرددت عليه :

— أنت وحدك هنا يا ولدى ؟

— نعم يا سيدى الرئيس .

— ألا يصحبك أحد من أقاربك أو أصدقائك في هذه النابا المظلمة المظفرة ؟

— أبدأ يا سيدى الرئيس .

لقد عصفت في رأسى شهوة القتل وآرت في نفسى كما تفعل الخمرة برأس شاربها .

أقتربت منه ببطء خوفاً من أن يفر كما كان يخيل إلى . ضمنت على عنقه بعنف ، فنظر إلى بعينين حاكيان البحر عمقاً والسما سقاءً و ... لم أشعر طول عمرى بمثل هذا الإحساس القريب الذى سيطر على . لقد أمسكت يديه الصغيرتين بساعدى القويتين الفتواتين ، بينما كان جسمه يتطاير في الهواء كما تنطير ريشة الطير على سفود . ثم هدت حركته ، ووقفت أنفاسه .

وهناك أحسست بتواثب دقات قلبى العنيفة ؛ مسكين ذلك الصغير ، لقد رميت جثته في حفرة . وغطيتها ببعض الحشائش ثم عدت .

تناولت غدائى هادىء الأعصاب كأنى لم آت شيئاً ! لقد شعرت بخفة نفسى التى عادت تجددت شبابها الأول ، وقضيت سهرة الليلة عند مدير الناحية . لأنهم وجدوني سريع النكتة ، خفيف الروح ، في تلك الليلة ، ولكنى لم أر الدم ، لذلك لم أك مطمئناً تمام الاطمئنان .

٣٠ آب :

عثروا على الجثة ، والسى جار لمعرفة القاتل ؛ أنا مطمئن فلن يرفع الستار عن المجرم .

الشهوة ، الشهوة ، نعم ، تملكتنى شهوة القتل كاللودة حاية في جسمى وفي عقلى ، إنى متمطش إلى رؤية الدم وبجانبه الموت ، حيث تسمع أذناى صوتاً فظيماً بناديبى ، ويذكرنى بآخر صرخة تخرج من المختصر . لعل في القتل لذة ، وخصوصاً إذا كانت الضحية كائناتاً مطلق الحرية واسمها يملك قلبه الهادى الرزين بنفسه .

٢٣ آب :

لا يمكننى الصبر ، قتلت حيواناً إطاعة لتلك النزعة الخفاء التى تقالبى .

لخادى « جان » عصفور في قفص ثمين ومعلق بناقذة الدار ، وقد أرسلت خادى ذات يوم لقضاء حاجة ، وبعد أن ذهب أخذت العصفور الصغير في يدي فشمرت بجسمه الحار ، وبنبغات قلبه المتفاوتة ، ثم صعدت به إلى غرفتى ، وأخذت أضغط عليه شيئاً فشيئاً إلى أن أحسست بدقات قواده السريعة . لقد كان النظر وحشياً مع فظاعته . كدت أخنقه . ولكن لا فائدة لأنى لم أرى دمه يسيل ، فأخذت المقص وجعلت رقبته ثلاث قطع ؛ فقفر المسكين فاه ، وأراد التخلص بكل ما أوتي من قوة ، ولكن أنى له ذلك ويدها كالحديد تطوقان عنقه ؟ لقد كان عملى يسترعى الدقة والانتباه ، فكنت أعمل بتؤدة !!

الدم ! ... الدم ! ... ما أجله !!

أجرحان ، صافى ! لقد أردت أن أخضب به لسانى ، وفعلاً كان ذلك ! إن هذه الكمية القليلة لا تبعث النشوة ، لكنها لذيدة ! ضاق نطاق الوقت للتمتع بهذا النظر ؛ فقد حان حضور خادى .

آه ! لو كان بدل هذا العصفور ثور لكان أبهى وألذ .

يالى من شقى ! لأنى أصبحت كالقتلة : غسلت المقص بيدي ، وجلت الجثة الملمدة إلى مشوى أعدته لها في الحديقة ، ودفنتها تحت شجرة « فريز » .

لا يمكن لأحد معرفة هذا المكان ، وسأكل كل يوم حبة من هذه الشجرة الحمراء .

بكى خادى عصفوره كثيراً بعد عودته ، وظن أنه طار من

أول أيلول:

لقد رأيت جميع جلسات محاكمته وسأذهب لأرى مصرعه .

١٨ آذار سنة ١٨٥٢ :

انتهى كل شيء ، هـذا الصباح . مات الطفل بسرور
وبشجاعة مما زادني ابتهاجاً ! ما أروع رأسه المتطائر ، وما ألد
دمه المتدفق كالسيل ! نعم كالسيل ! آه لو مكنتوني من الاستحمام
فيه والاستلقاء عليه حيث أشعر بسرّياته في شعري وعلى وجهي ،
وأقوم بعدها مصبراً بالأجر القاني .

ما أفتح الحقيقة لو عرفوها !

والآن أستطيع أن انتظر وأن أسهر الليالي لا يثير دهشتي

أحد ، ولا يهز صفوي معك ...

... ..
لم تنته الذكريات بعد . وهي تحوى عدة صفحات أخرى بدون
جريمة جديدة . وأقر الأطباء الذين كلفوا بدراسة الذكريات
بأن هذا الضرب من المرض العقلي هو أقل أثر لما تفكر في عصرنا
المادى الذى زاد فيه السقوط الأخلاقى والجنون العصبى

م . كمال جلي

(حلب)

الوكالة العامة

لتوزيع مطبوعات دار الكتائب المصرية

في العراق

إدارة المكتبة العصرية في بغداد

لصاحبها

محمود حلمي

ووكلاءها في الألوية

تلفون ٦٤٨٠ و ٤٢٧٦ و ٩٤٧٠

أوقف قاضى التحقيق رجلين من عابري السبيل كانا يجوبان
تلك الناحية ، وقد أخلى سبيلهما لأن الأدلة غير كافية لأدانتهم .

٢ أيلول :

بكى أهل الطفل أمانى متضرعين ! ! ألا ما أعذب قولهم !

٦ تشرين أول:

إن شهوة القتل تملكني وفي متاعلة في عروقي ، تجري مع
دى ، وهذا ما يدفعني إلى القتل كابن العشرين عند ما يتيمه الحب

٢٠ تشرين أول :

جريمة أخرى :

ذهبت بعد الغداء ناحية النهر أترى ، وهناك رأيت صياداً
نائماً تحت شجرة حور ، وكان الوقت ظهراً . تطلعت حولى فإذا
بعمول في أرض مجاورة مزروعة بطاطس ، فأخذت العمول ، ثم
عدت أدراجي إلى الصياد ، فرفعت بين يدي كالهراوة وضربت به
ضربة واحدة بحد ذلك العمول قطعت رأسه . تدفق الدم الوردى
الخداخ بنزارة ، وانحدر إلى ماء النهر الجارى !

عدت أدراجي بخطوات مريسة ، آه ، ... ! لو شاهدوني
لعرفوا في قاتلا وحشياً مريعاً .

٢٥ تشرين أول :

أحدث مقتل الصياد ضجة عظيمة بين الأهليين وفي الدوائر ؛
واتهم في ذلك ابن أخى القاتل لأنه كان يصطاد معه .

٢٦ تشرين أول :

رأى قاضى التحقيق أن ابن الأخ مجرم وكل من في البلدة
بمقتد ذلك ، مسكين ذلك الخمل !! ؟

٢٧ تشرين أول :

دافع الصبي عن نفسه دفاعاً ضعيفاً ، لقد حلف أيماناً مغلظة
بأن عمه قتل أثناء غيابه ، وهو في البلد يشتري خبزاً وجنباً .
ولكن من يصدقه ؟

١٥ تشرين الثاني :

بالموت ! بالموت ! بالموت !

حكمت على الطفل البرى . ! وقد أحسن المدعى العام فكان
ينطق كالملاك ، وذكر الأسباب التى دعت إلى إدانة الطفل ،
وهو أنه ورث عمه الوحيد .